

## مقدمة

يعد علم الكلام هو أحد الحقول المعرفية التي تلقى اهتماما كثيرا من قبل العديد من الباحثين حيث تم التركيز عليه في المحافل الفكرية المختلفة اذا يحاول هذا المشروع أن يضع حدا لحالة الركود التي سيطرت على الدراسات الاسلامية في القرون الاخيرة ويعيد بحث النتاج الكلامي من جديد ضمن أليات عمل متناغمة مع تطورات المعرفة الانسانية خصوصا الحاصلة بفعل تأثيرات العاصمة الغربية التي ضربت العالم من أقصاه الى أقصاه تحت مسمي الحداثة وذلك بهدف تحقيق التنمية الفكرية لهذا العالم كغيره من العلوم ووضعه في سياقه المناسب له.

وقد حظي علم الكلام كغيره من العلوم التراثية بدراسة واسعة ضمن المشاريع الحداثية بمختلف مشاريعها، فهل كان الأمر بالنسبة لحسن حنفي وهو المهتم بتحديد التراث نفسه كباقي الباحثين؟ وهل شكل علم العقيدة علما يحظى باهتمامه وعنايته ضمن مشروعه التجديدي بصفة أخرى أين تظهر ملامح العناية والاهتمام في علم الكلام في فكر حسن حنفي على مستوى المفاهيم؟ وكيف عرف علم الكلام؟ وماهي موضوعاته ومنهجه وغايته حسب رؤياه بدقة؟ ماهي الرؤية التجديدية لعلم الكلام في منظور حسن حنفي؟ وهل وفق في ذلك؟ نحاول في هذه الدراسة العلمية الاجابة عن مختلف هذه التساؤلات واعطاء رؤية حسن حنفي لعلم الكلام من خلال موقفه من المفاهيم المتعلقة بعلم الكلام من (تسمية، موضوع، حد، منهج، غاية، مكانته...ضمن خطة محكمة تتمثل في :

1-لمحة تاريخية عن حسن حنفي

2-حياته العلمية

3-مفهومه للتراث والتجديد

4-موقفه من مفاهيم علم الكلام

5-خاتمة

لمحة تاريخية عن شخصية حسن حنفي:

يعدّ حسن حنفي أحد أهم المفكرين والفلاسفة الاسلاميين المشهورين في العالم العربي المعاصر بصفة عامة وفي مصر بصفة خاصة، وهو أحد منظري التيار الاسلامي والتيار علم الاستغراب، ولد في 13 فبراير 1935م في القاهرة ينتسب إلى أسرة ريفية محافظة - بن سويف - أحد مقاطعات مصر وهم من المهاجرين الذين ينتقون إلى المغرب، لهذا نجد لحنفي ذرية من المغرب وفيها نشأ وتعلم<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> السيد ولد أباه: أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهن، ط1، 2010م، بيروت، ص 32/31.

كان الفتى حسن حنفي يحب الموسيقى ومولع بالرسم والفن منذ طفولته زاول دراسته الابتدائية والثانوية بالقاهرة<sup>1</sup>، ولعلّ أول الخطوات الأكاديمية البارزة في مسيرة حسن حنفي كانت بعد تحصله على اللقب العالمي من كلية الآداب في القسم الفلسفي بجامعة القاهرة 11 أكتوبر 1956م، ليهاجر بعد ذلك من مصر متجها نحو فرنسا لمواصلة الدراسة والتعلّم في الدراسات العليا بجامعة السربون من أجل نيل درجة الدكتوراه إذ يقول: "لم أكن أرى لي وجودا في مصر وكنت أرى باريس أمامي تنتظري، فقد كان الحديث عنها وعن السربون"<sup>2</sup>.

تحصل على درجة الدكتوراه 1966م فدرس الفلسفة خاصة الحديثة منها والغربية وما قبل الحديثة، وخلال إقامته بفرنسا عمل حسن حنفي على الاطلاع على الأفكار والحضارة الغربية، ليعود بعد ذلك إلى مصر ليزاول العمل بقسم الفلسفة بالقاهرة سنة 1967م حيث تنوعت جهوده الفكرية ومجهوداته النضالية في سبيل الارتقاء بالفكر والواقع في بلده ولعلّ الشيء الذي ساعده ووسع من دائرة معارفه هو ارتقاؤه وتمكنه من اللغات الأجنبية (الانجليزية، الفرنسية، الألمانية) والتي فتحت له المجال للتواصل مع الثقافات الأخرى واشتغال عدة مناصب علمية خلال زيارته ورحلاته المتكررة للجامعات العالمية نذكر منها: أستاذ محاضر فيلادلفيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وأستاذ في جامعة فارس بالمغرب وجامعة طوكيو باليابان، ومن ثم عاد إلى مصر ليشغل منصب نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية ويأشر مسيرة عطائه الفكري من التراث الاسلامي وتأليف الكتب وتحقيق البعض<sup>3</sup>.

### بداية وعيه وتأسيسه العلمي (الانتاج العلمي):

قبل الحديث عن مؤلفاته ونتاجه الفكري والعلمي كان حريّ بنا أن نشير إلى أهم التحولات الكبرى في فكره والتي ساهمت في بناء وعيه ورسم المعالم الكبرى في حياته، حيث بدا وعيه بالحياة منذ الطفولة فقد كان محبا للفن والموسيقى والرسم ومفحم بالحيوية، أمّا وعيه الوطني ( 1948م، 1951م والتي تزامنت مع بروز العديد من الصراعات والحروب أواخر الحرب العالمية الأولى بفلسطين 1948م، ومعركة الفدائيين 1951م، ليصبح موضوع الثورة المصرية شغله الشاغل هذا ما ولدّ احساسه بالوعي الوطني منذ الصغر<sup>4</sup>، وبخصوص وعيه الديني فقد نتج نتيجة تأثره بفكر الإخوان منذ دراسته وبعد دراسته لكتب السيد قطب غيرّ وجه نظره وبدأ أزمته مع الفلسفة الاسلامية؛ وانعزاله عن الإخوان، بعد هذه المحطات

<sup>1</sup> فهد بن محمد القرشي: منهد حسن حنفي دراسة تحليلية نقدية، ط1، الرياض، مجلة البيان، 1984م، ص32.

<sup>2</sup> فهد بن محمد القرشين: المرجع نفسه، ص32.

<sup>3</sup> فهد بن محمد القرشين: مرجع سابق، ص32.

<sup>4</sup> حسن حنفي: الدين والثورة في مصر الاصولية الاسلامية، مكتبة مديولي، دت، القاهرة، ص279.

المهمة في حياته بدأ وعيه الاسلامي في التبلور مما ساعد على نشأة مفاهيم وأفكار جديدة عن المنهاج الاسلامي والأمة الاسلامية فانعزل الفلسفة الاسلامية بعدما اعتبرها نظريات افتراضية لا تمس واقع المسلمين<sup>1</sup> ولا حياتهم لذا هاجر مصر متجها الى فرنسا اذا يقول: " لم اتعلم من الجامعة شيء الا كرد فعل على ازمة الدراسات الاسلامية . لم استطع البقاء في مصر، فماذا ساتعلم؟ فكانت فرنسا بالنسبة لي مكان التكوين ومدرسة المبتدئين"<sup>2</sup>.

أما عن وعيه الفلسفي فكان نتيجة قراءته عن اللاهوت المسيحي ومعرفته بالمثالية الألمانية(فلسفة المقاومة عند نتشة والقصدية عند هسرل، والايحاء المتبادل بين الذات والموضوع عند هيغل). إضافة إلى هذا لا ننسى ما حدث في فرنسا عندما أراد أن يكون الاسلام منهجا للحياة الفردية والاجتماعية<sup>3</sup>. لقد باشر حسن حنفي جمع المادة العلمية طوال المدة التي قضاها في الترحال ليعود بعد ذلك إلى أرض الوطن من أجل الاستقرار وإعمال مسيرته العلمية بالتأليف والتحقيق والعطاء الفكري الذي تمثل في مجموعة من المؤلفات والمحاضرات وإعداد الباحثين.

### أهم أعماله:

- أول كتاب حققه لأبي حسن البصري المعتمد في أصول الفقه.
- كتاب سبينوزا: اللاهوت والسياسة.
- كتاب لنسج: تربية الجنس البشري.
- سارتر: الأنا والوجود.

- وبعد أن استوعب تراث الغرب اعتكف على التراث العربي الاسلامي.
- كتاب التراث والتجديد أربع مجلدات.
- كتاب في العقيدة للثورة ثلاث أجزاء.
- كتاب العولمة.

كما أَلَّف باللغة الانجليزية:

- كتاب الحوار الديني والثورة.
- كتاب منهج التأويل<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> بن عطاء الله فاطمة: التراث والتجديد في فكر حسن حنفي، مذكرة ماستر، 2014م- 2015م،

<sup>2</sup> السيد ولدأباه: المصدر السابق ص32.

<sup>3</sup> فهد بن محمد القرشين: مرجع سابق، ص32.

<sup>4</sup> حسن حنفي: الدين والثورة في مصر الأصولية الاسلامية، مصدر سابق، ج6، ص285.

ومن خلال عرض أهم المحطات الفكرية في حياة حسن حنفي وبشكل جليل المرجعيات التي تأثر بها حسن حنفي من فلاسفة التنوير: مثل سبينوزا، فولتير، لنسج، برغسون وأما مصادر الفكر العربي فقد تأثر بالفكر الاعترالي<sup>1</sup> والحركات الاصلاحية مثل: جمال الدين الأفغاني محمد إقبال (مفهوم الذاتية)<sup>2</sup> هؤلاء وغيرهم ساهموا بشكل مباشر وغير مباشر في شخصية وآراء حسن حنفي.

**مشروع حسن حنفي التجديدي:**

## **1/ موقفه من التراث والتجديد:**

إنّ الأزمة التي تعيشها الأمة العربية والاسلامية، دفعت العديد من المفكرين إلى محاولة النهوض بالواقع العربي الاسلامي من أجل تحقيق حداثة اسلامية جديدة والخروج من النكسة الحضارية التي نعيشها وسيطرة على الحياة الاجتماعية، وحسن حنفي أحد هؤلاء الذين يسعون بالنهوض بالأمة العربية الاسلامية ضمن مشروعه التجديدي، لذا قبل الحديث عن مشروعه التجديد لا بد ان نعرض عن موقفه من التراث والتجديد لكب نلتمس ماذا يقصد بالتراث؟ واهي السبل للتجديد في علم الكلام؟ وما هو التجديد في نظره؟.

**- مفهوم التراث عند حسن حنفي:**

يؤكد حسن حنفي أنّ التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة حيث يعرفه بأنه: كل ما خلقه السلف من أشياء مادية وأمور معنوية روحية تتشكل على العديد من المستويات في الواقع المعاش: " التراث كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذا قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطي حاضر على العدد من المستويات<sup>3</sup>. وبهذا يكون التراث هو كل ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات وعادات وتقاليد، وبهذا فالتراث هو عبارة عن مضلة تجتمع تحتها كل الجوانب الدينية منها والفنية والأدبية والعلمية والمعرفية والتاريخية والفكرية... إلى آخره<sup>4</sup>.

وبهذا يكون حسن حنفي قد اتفق مع الجابري في تحديد مفهوم التراث وبأنّه حمولة وجدانية ( الدين والعقائد والموروث الشعبي) ومضمون ايدولوجي ( مخزون نفسي عن الجماهير)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> فهد بن محمد القرشي: منهجية حسن حنفي، ص137.

<sup>2</sup> حسن حنفي: دراسات اسلامية، ط1، بيروت، دار التنوير، 1982م، ص353/169(أنظر).

<sup>3</sup> حسن حنفي: التراث والتجديد، ص13.

<sup>4</sup> عبد السلام هارون: التراث العربي، د ط، د ت، المركز العربي في الثقافة والعلوم، ص16.

<sup>5</sup> محمد حمود: النهضة في الفكر العربي المعاصر دراسة مقارنة في فكر حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، مكتبة مديولي، 2010م، القاهرة، ص4.

وأنّ التراث قضية وطنية قومية أساسا، يندمج المعرفي والايديولوجي والوجداني في مفهومه كما يتفقان في رفض النزعة السلفية من الموقف من التراث ونزع القداسة عن ورفض واتخاذ الغرب منها المرجعية<sup>1</sup>. ويؤكد حنفي مرة أخرى ضمن كتاباته عن حقيقة التراث أنّه ليس دينية فقط بل هو تداخل بين الديني والشعبي إذ يقول: " التراث ليس تراثا دينيا فحسب بل يتداخل فيه الديني بالشعبي فلا فرق في الاستخدام الشعبي بين الاستشهاد بالآية القرآنية والحديث النبوي وبين الاستشهاد بالمثل الشعبي... يتداخل فيه الصحيح والموضوع... الكل يكون مخزونا نفسيا في اللاشعور التاريخي للأمة وفي ذاكرتها الجماعية... التراث في ذاته مجرد افتراض لا وجود له بالعقل بل هو مجرد تصور إجرائي للحديث عن ثقافة الجماهير"<sup>2</sup>.

فمن خلال ما سبق يمكن أن نحدد ما قصده حسن حنفي بالتراث فهو أداة وليس موضوعا، متغيرا أو ثابتا، ولا يوجد شيء اسمه تراث بعيدا عن طرق توظيفه واستخدامه فالتراث هو مجرد افتراض لا وجود له بالفعل، مجرد تصور اجرائي للحديث عن ثقافة الجماهير، يتم ادراكه في عملية التعبير أو كدافع على التقدم. فالتراث جزء من عملية التغيير الاجتماعي وأخذ فعالياته لتتحرك عن إلى التجديد<sup>3</sup>.

#### مفهوم التجديد عند حسن حنفي:

ينظر حسن حنفي إلى التجديد بأنه إعادة تفسير التراث طبقا لحاجات العصر، ومن خلال قوله يتضح لنا أنّ التجديد هو إعادة بناء من جديد من خلال إعادة القراءة<sup>4</sup> والتأويل طبقا لظروف العصر، وانطلاقا من هذا فهو لا يسعى لتوفيق بين التراث والتجديد بل يحاول أن يحاول أن يجعل التراث وسيلة لغاية أسمى هو التجديد". إذ يقوم مشروع التراث والتجديد بطرح قضية التراث كأساس وشرط وقضية وتجديد كمنهج وميدان وعلم داخل مشروع حضاري من شأنه أن يحل أزمة العالم العربي والاسلامي المعاصر بأسلوب علمي، فهو مشروع يؤسس لتغيير الاجتماعي من خلال المنهج أو نظرة تجمع بين التراث والتجديد بكيفية جديدة لا تسمح بسيطرة التراث بمفرده أو سيطرة العصر بمفرده<sup>5</sup>، ويؤكد حنفي

<sup>1</sup> محمد حمود: المرجع نفسه، ص4.

<sup>2</sup> جيلالي بوبكر: التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، ص 87/86.

<sup>3</sup> بن عطاء الله فاطمة، المرجع السابق، ص 13.

<sup>4</sup> حسن حنفي، التراث والتجديد، ص13.

<sup>5</sup> كريمة كريمة: اشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، جامعة سليمان بن عبد العزيز، السعودية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، ص

حنفي في أكثر ما كتّاب له أن الدافع إلى التجديد التراث صور إعادة النظر لتراث الفلسفي خاصة والتراث كل عامة وما يعيشه العالم من أزمات على جميع المستويات<sup>1</sup>.

ويقدر صاحب مشروع التراث والتجديد حسن حنفي على ضرورة تحليل التراث على أنه مخزون نفسي واجتماعي يهدف إلى تحليل الواقع فالتراث والتجديد يغطي إذا ثلاث ميادين:

- تحليل الموروث القديم وظروف نشأته ومعرفة مساره في الشعور الحضاري.
- تحليل الأبنية النفسية للجماهير ومعرفة علاقتها بالموروث القديم والأوضاع الاجتماعية الحديثة.
- تحليل أبنية الواقع ومعرفة مدى نشأتها من الواقع ذاته ودرجة تطوره<sup>2</sup>.

ونستنتج مما تقدم أنّ حسن حنفي وتم تجديد التراث بالطابع الانساني والاهتمام بدراسة الانسان في الواقع التراثي بدل الاهتمام بالجوانب اللاهوتية.

موقفه من علم الكلام:(المفاهيم)

يعد علم الكلام في التداول الفكري الاسلامي السبيل الوحيد لتوحيد الله ومعرفته حق المعرفة بأسمائه وصفاته وافعاله والتيقن من كتبه والتصديق بنبيه، فهو العلم بالأصول لذا أخذ الاهمية الكبرى في الاوساط العلمية والمكانة الشريفة والرائدة بين العلوم، اذ أن باقي العلوم تبنى عليه<sup>3</sup>، لذا كثر التأليف فيه منذ القديم والهدف هو بيان أسلوبه ومنهجه ومعرفة ما قرر السلف من أصول وقواعد خاصة به<sup>4</sup>، في المقابل نجد المشروع الحدائثي قد تناول علم الكلام من جهة مختلفة ولهدف وغاية أخرى وحسن حنفي أحد هؤلاء حيث عالج علم الكلام كتابه من العقيدة الى الثورة باعتباره أساس التراث لذا أفرد بالتأليف والنقد يقول في هذا الصدد حسن حنفي"..... يمكن بواسطته سد النقص النظري واقعنا المعاصر، والذي يمكن أن يمدنا بأيديولوجيا عصرية تشتمل على لاهوت الثورة ولاهوت الأرض ولاهوت التحرير ولاهوت التنمية ولاهوت التقدم"<sup>5</sup> وبهذا يقتضي طريق اللاهوت المسيحي والغاية من هذه النظرية تحويل الوحي الى علم انساني شامل بغية تخليص الحضارة الاسلامية من ركودها .

لقد كانت أولى خطواته في هذا المشروع هي هدم علم الكلام القديم وتغيير كل المفاهيم من:(تعريف، موضوع، حد، غاية، منهج....)بدا بكلمة بسم الله الرحمان الرحيم حيث يقول أن المقدمات الكلامية

<sup>1</sup> الشريف طوطاو: هرمونطقا النص القرآني في منظور اليسار الاسلامي حنفي أمودجا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبعاد، 2015م، ص5.

<sup>2</sup> كريمة كريمة: المرجع السابق، ص42/41.

<sup>3</sup> مناد طالب: في علم الكلام من التقليد الى التجديد، دار الأيام، 2015م، عمان الأردن، ص10.

<sup>1</sup> شبلي النعماني الهندي: علم الكلام الجديد، جلال السعيد الحفناوي إدارة الشؤون الفنية، ط2012، 1م، القاهرة، مصر، ص16.

<sup>5</sup> الشريف طوطاو: المرجع السابق، ص5-6.

للقدماء تبدأ بـ"بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله" وهي مقدمات إيمانية خالصة تعبر عن إيمان ذاتي خالص، فالعالم الأصولي يسلم بما كان المقدمات هيا النتائج وحسب حنفي هذا نقص في البرهان وهدم للاستدلال وضياع للعلم فالتراث هو المخزون النفسي للجماهير والأساس النظري لأبنية الواقع فبدلاً من بدأ المقدمات بتنزيه الله تنزيهاً مطلقاً والاعلان عن أوصافه ذات الكمال ويتغزي في هذه القوة المسيطرة لدرجة الفناء فيها وكل ما شعر بالعدل زاد مدحه وإذا شعر بأن العالم لا يسير وفقاً لما يجب تصور وكأن الآخر قد قام بدلاً عنه السيطرة على هذا الكون المفقود وبالتالي ينشد السلطان الديني أولاً والسلطان السياسي ثانياً<sup>1</sup> وبهذا يصبح العالم مركز سيطرة لا يتزحزح ومن ثم كان سهل علينا الانتقال من السلطان الديني إلى السياسي ومن حمد الله إلى حمد السلطان ومن الثناء على الله للثناء على السلطان ومن طلب العون والمغفرة من الله إلى طلبها من السلطان لأن التكوين النفسي للإنسان طالب تعود على السؤال وأعتاد على الشحاذة والتسول.<sup>2</sup>

والحقيقة أنه لا يحمي الإنسان المعاصر ولا يحافظ على مصالح الجماعة إلا الوعي الفردي وتجنيد الجماهير وكلاهما لا يتم إلا بالثورة الفعلية ليس المطلوب من الإنسان أن يتوه تحت الخفاء أو أن يضيع المطلوب تأكيد ذاته وأعمال عقله وإحساسه بالمسؤولية وتحقيقه للرسالة ووعيه بالجماهير وليس المطلوب تبرئة عقدة القبة السماوية الحافظة للعالم من كل سوء (تشبيه، تجسيم، شرك)، فلن يطعم الجائع بطريق الاستجداء ولا ينصر مظلوم عن طريق البكاء، لا يوجد ملجأ للإنسان إلى عمله ولا مجاز إلا بعلمه المشترك مع الآخرين أي العمل الجماهيري<sup>3</sup> ويؤكد حسن حنفي أن المقدمات الإيمانية بعد انتقالها من المحور الأول الله تنتقل إلى المحور الثاني هو الرسول وتشرع في الصلاة والتسليم عليه وليس فقط الرسول بل في آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين لن رغم أن الإنسان مسؤول فرداً وليس جماعة ويضيف حسن حنفي قوله: "ونظراً لفرغ المقدمات الإيمانية التقليدية من أي مضمون فكري أو واقعي، عقلي أو مصلحي فإنها تعبر عن نفسها بأسلوب الشجع المملوء بالتلاعب بالألفاظ العاطفية التي تنشأ أو اللغة وهي بدورها تعبر عن العاطفة ويغيب الفكر والواقع مع<sup>4</sup> وحسب حنفي ما أحوجنا في عصرنا إلى إعادة الاعتبار للإنسان والأمة المتفرقة هذه هيا مسؤولية من العقيدة ال الثورة إذا يقول " بدل بسم الله أقول بسم الأمة والله والأمة وجهتان لعملة واحدة فإذا دافع

<sup>1</sup> حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي، دط، ج 1، ص 8-9.

<sup>2</sup> حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، المصدر نفسه، ص 9-10.

<sup>3</sup> حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ص 18-19.

<sup>4</sup> حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ص 20.

القدماء عن الله اثباتاً وتنزيهاً فإننا ندافع عن الأمة التي يعترينا الضياع والهزائم والعجز...، فإذا كان هدفهم إثبات عقائد الفرقة الناجية ضد الفرق الضالة فهدفنا هو الدفاع عن اجتهادات الأمة كلها ووضع العقائد كلها على قدم المساواة والكشف عن عقيدة الأمة وكيفية استعمالها من كافة قواها أو الاجتماعية والسياسية واعطاء الأولوية للمستوى العلمي الاجتماعي بدل المستوى النظري<sup>1</sup> وتهدف دراسته الى التأصيل الواقعي حتى يرتبط التوحيد بالعمل والله بالأرض والذات الالهية بالذات الانسانية والصفات الالهية بالقيم الانسانية والارادة الالهية بالحرية الانسانية والمشيئة الالهية بحركة التاريخ فإذا كان الدافع عند القدماء هو العلم فانه لدينا هو العمل والسبب في ذلك هو الغلبة وتداعي الامم على بعضها البعض، فالهدف هو الدفاع عن البلاد واطلاق التوحيد وايقاظه من سباته و تحويله الى فاعلية في الارض وحركة في التاريخ<sup>2</sup>.

كما يرى حنفي أنّ سبب كتابة مصنفات القدماء في علم الكلام، كانت بناءً على سؤال الأمراء والسلاطين، او بعد رؤية صالحة لولي او نبي، او بعد استخارة الله، اما نحن فكانت تحقيقاً لمصلحة الأمة وحرصاً على وحدتها الوطنية، كما يضيف حنفي تعليقه على مسميات كتب العقيدة لأنها اسماء جدل وإرشاد تدلّ على التواضع الشديد و الخُضوع، اما كتابه . كما يقول . فهو: العقيدة هي التّراث والثّورة هي التّجديد، فالعقيدة هي إيمان الناس وروحهم والثّورة هي مطلب عصرهم.<sup>3</sup>

### تسميته:

رغم تعدد مسميات علم العقيدة من الدين علم الكلام وعلم أصول وعلم التوحيد.... الى ان حسن حنفي قد انتقد أسلوب القدماء فهي قولهم أن الكلام في كذا وكذا لأنه ليس خاص به فقط فما أكثر خطبنا وشهدتنا في التاريخ....وعلم أصول الدين مقابل علم الفروع هو دعوة للفصل بين الاصول والفروع والفقهاء وأصوله وتوقف الاجتهاد في العقيدة وحصرها في الشريعة وحدها اعتبار العقائد ثابتة لا تتغير مما أدى الى ضمورها وقدمها ويعدم تعبيرها عن واقع الأمة وظروفها الراهنة اذا حصل الفصل بين العقيدة والمصلحة فبرعت مصالح الناس بين الحركة العلمانية التي نشأت أساساً كرد فعل على العقائد الايمانية اللاعقلية الفارغة من أي مضمون .فما دامت العقائد مقدسة من الله والشريعة لصالح الانسان فقد انتشر في عقليتنا الفكر اللاهوتي وغاب الفكر الانساني فتأكدت محورية الله وهامشية

<sup>1</sup> حسن حنفي: المرجع السابق، ص 27-31.

<sup>2</sup> حسن حنفي، المصدر السابق، ص 332.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 332.

الانسان ويؤكد حنفي أن التوحيد هو توحيد الشعور وتوحيد المجتمع في نظام واحد وطاقة فعالة لتوحيد الشعور الفردي والجمعي لجمع شتات الأمة وليس افراد الخالق بالعبادة وأن العقائد ليست نظريات بل هي دوافع للسلوك ونواة أيديولوجية كاملة وسائل للحراك الاجتماعي وهو حراك لصالح الأغلبية الصامتة وبالتالي تاريخ العقائد جزء من تاريخ الثورات الاجتماعية من هنا لا يوجد علم كلام مكتبي يسع لإثبات صحة العقائد النظرية بل حركة صراع اجتماعي يقوم به الامام الفقيه من أجل قيادة الجماهير في حركة تاريخية دفاعا عن مصالحها وتحقيقا لتوحيد بقوة العقيدة وثقل الجماهير لأجل الثورة<sup>1</sup> وعرفه حسن حنفي بأنه هو العلم الذي يقرأ في العقيدة واقع المسلمين من احتلال وتخلف .... كما يرى فيها مقومات التحرر وشروط النهضة ثم اعادة بنائه طبقا لحاجات العصر.<sup>2</sup>

من خلال تعريفه حسن لعلم الكلام هو علم واقعي انسانيّ بحت يسير في منظوره من الانسان إلى الله نظرة تصاعدية

### موضوعه:

يقرر حنفي في تجديده لعلم الكلام أنّ الله لا يمكن أن يكون موضوعا لعلم الكلام ، فقولنا أنّ الذات الإلاهية موضوع لعلم الكلام هي عبارة تحتوي على تناقض داخلي لأنّ الله هو المطلق والعلم بطبيعة موضوعه ومنهجه وغايته تحويل المطلق إلى نسبي، فكيف يصير الكل جزءا وكيف للعقل الانساني النسبي بحياته وإدراكه وميوله والموقف الانساني كله أن يحيط بالذات المطلقة التي لا يعترتها موت ولا يحدّها عقل أو ادراك مضيفاً نه ليس هناك شيئاً في العالم يسمى ذات الله يمكن الرجوع إليها وتكون قياسا لتحقق والصدق، والعلم لا يكون إلا لموضوعات معينة وإلا كان علما صوريا خلصا كما أنّ اللغة الانسانية قاصرة لا يمكن أن تعبر إلا عن التصورات والادراكات أو الموضوعات أو المعاني الإنسانية، كيف يمكن أن نعبر عن المطلق بلغة نسبية؟ كيف يتم للإنسان التعبير عن شيء لا يقدر التعامل معه أو ضبطه ولا يمكن العثور له على الصياغة، فحسب حنفي أي دراسة عن الله لا بد أن تقع وبالضرورة في التشخيص، لأنّ نتحدث عنه باللغة الإنسانية وتصورنا عن الله أنّه صانع وله صفات إيجابية وسلبية هو تصر إنساني خالص، فليس أمام الإنسان إذا ما أراد الحديث عن الله إلا التشبيه والقياس، ومن هنا تكون النتيجة أنّ كل حديث عن الله هو حديث عن الإنسان، فيتوهم الإنسان أنه يتحدث عن الله ولكنه يتحدث عن نفسه.

### منهجه:

<sup>1</sup> حسن حنفي: المصدر السابق، ص64-67.

<sup>2</sup> حسن حنفي: المصدر السابق، ص69-70.

يؤكد حسن حنفي أن القدماء لم يفرّدوا علم أصول الدين بل اعتبروه جزءاً من التعريف، وأن هناك منهج إثبات وآخر اندفاع، والدفاع ليس منهج للعلم بل مهمة المحاماة، والدفاع والمهجوم يقومان على التعصب للهوى والمصلحة، ويدلان على نقص العلم والموضوعية والنزاهة والحياد وضعف صاحبه وهجوم الخصوم يدل على قوة المعارض، بل المقابل منهج الإيمان والدفاع تبنى حسن حنفي منهج كلامي جبلي؛ يتمثل في التفسير الكلامي العقائدي الذي يعرض لأصول العقيدة أو لقواعد العقائد، كوجود الله وخلق العالم كما تفعل التفسيرات الملامية مثل الزمخشري<sup>1</sup>، فالعقائد ليست أشياء بل بواعف عن السلوك ليست موضوعاً للجدل العقلي حول تصورات تقوم بالتنزيه أو التشبيه وأحياناً التجسيم، بل هي تحليل لأعماق النفس البشرية ومعرفة بواعث والسلوك والعقائد، كما تفعل الإيدولوجيات الحديثة تستنبط منها النظم السياسية واجتماعية واقتصادية<sup>2</sup>. ومنه فإن المنهج الأنسب للدراسة الفينومولوجي أي منهج تحليل الخبرات، منهج إنساني طبيعي تلقائي، إذ أن الإنسان لا يدرك إلا ما يشعر به، وهذا المنهج عند حنفي يهدف أساساً إلى دمج الذات مع الموضوع عبر الشعور. أنه المنهج الأفضل من حيث وصفه لتجارب المواقف القديم وتحليلها، مما يمكننا من فهم مضمون النص بإعتباره تجربة حيّة في الشعور الإنساني، لأنه منهج يعتمد بالدرجة الأولى على النصوص وليس الأفكار، اللغة وليست المعاني، وهذا كله من أجل الوصول إلى إيدولوجية ثورية تكون بمثابة الآداة والتجديد<sup>3</sup>.

#### حدّه:

نفى حسن حنفي حدّ علم الكلام القديم وذلك بعد إعادة بناءه وتصحيحه، وتحويله ليس فقط من علم الله إلى علم الإنسان بل حركة من علم العقائد الدينية إلى علم الصراع الاجتماعي، فهو العلم الذي يتناول العقائد الدينية كموجات لسلوك الجماهير اليوم، من أجل المساهمة في حل القضايا المصيرية مثل: الاحتلال، التخلف، التغريب... وبالتالي هو العلم الذي يضع الأسس نظرية لسلوك الأمة الفرد والجماعي، في مرحلة تاريخية محددة<sup>4</sup>.

#### مرتبته:

يرد حسن حنفي على القدماء في قوله: أنذ علم الكلام في أعلى الدرجات وأنه أشرف العلوم من حيث الموضوع والمنهج والغاية، يؤكد أنه لا يوجد علم أشرف من الآخر، وأن كل الموضوعات على مستوى

<sup>1</sup> حسن حنفي، مصدر سابق، ص 67.

<sup>2</sup> شريف طاووا، مرجع سابق، ص 13.

<sup>3</sup> بن عطاء الله فاطمة، التراث والتجديد في فكر حسن حنفي، ص 66.

<sup>4</sup> حسن حنفي، مصدر سابق، ص 70.

واحد، وأن المناهج كلها على مستوى واحد، أما من حيث الأولوية عكس ذلك لأنّ الواقع المرير الذي نعيشه خير دليل ، وحسبه علم الكلام قصر في التأسيس النظري ولم يستطع الوصول إلى اليقين، فاقصر على الشك والتردد وانقلب من علم تأسيس العقائد إلى إفسادها وتشويشها وضياعها، فهو أقل العلوم شرفاً لأنه من أخطر العلوم ومن أقرب السبل إلى التهلكة، فلا توجد سعادة معروفة يبحث عنها الناس في العقل إلا في هذه الدنيا وليس خارجها ولا فوز يبعثه الناس إلا في العالم الدنيوي، فليست الغاية من العقائد تعويض الإنسان عن مآسيه ووعدته بسعادة أبدية مستقبلية<sup>1</sup>.

**نقد:**

إنّ متتبع فكر حسن حنفي خاصة فيما يتعلق مفاهيم علم الكلام، يلاحظ أن حسن متأثر جداً بالأوضاع الاجتماعية والسياسية للأمة العربية لذا حاول أن يحاكي آلامها في طرحاته ومشروعه التجديدي لعلم الكلام، فمثلاً تعريفه لعلم الكلام هو محاولة منه لتفعيل علم الكلام القديم في الواقع، ولكنه وقع فيما وقع فيه الغرب وهو تأليه الإنسان والدعوة إلى موت الإله، ومركزية الإنسان أو ما يعرف أنستت الله وتأليه الإنسان، إنه يحاكي الفكر اللاهوتي المسيحي بكل حوافره، هو إعادة تاريخ الكنيسة في واقع المسلمين، لذا أطلق على علم الكلام تسميات لاهوتية مختلفة: لاهوت التغيير، لاهوت التنمية، وكلمة لاهوت لفظة محملة بالعداء والسلبية والإقصاء، والإقصاء والتمرد على كل ماهو قدسي. إضافة إلى هذا فإن نقده للمنهج الكلامي لم يكن صائب إذ وقع هو في تناقض من خلال دفاعه عن المنهج الجدلي، وأخيراً اعتبر حسن حنفي علم الكلام أخطر العلوم النقلية، وهذا تناقض في حد ذاته؛ لأنّه اعتبره من قبل أساس التراث وإحيائه والتجديد، وأنّه الديناميكية الفعالة في الواقع والتاريخ، فكيف يمكن له أن ينفي دوره الفعال بسبب جهله به، وعدم تمكنه من كل مباحثه ومادته، فألام وطنه وأمته جعلته ينسى الرسالة الحق وأن العقائد كلها نظريات، كما أنه لم يحدث التوازن المطلوب بين التراث والتجديد، وأنّ موقفه من مفاهيم علم الكلام كان مجرد عرض نشري خالي من التحليل والنقد البناء، وكأنه يألف لموسوعة جديدة في علم العقائد.

**خاتمة:**

إنّ أهم ماتوصلنا إليه من هذه الدراسة:

<sup>1</sup> حسن حنفي، مصدر سابق، ص123.

- الحاجة إلى وضع إيديولوجية واضحة المعالم لدى حنفي هي من أجل توجيه الواقع وسد للفراغ النظري، والركود العلمي في حياتنا المعاصرة، فيعد فهم العقيدة وبعاد تصورهما وتأصيلها في وجدان العصر، وعلى هذا يمكن الانتقال من الصلاح إلى النهضة، ومن النهضة إلى الثورة. كل هذا يؤدي بنا في نهاية الأمر إلى صياغة جديدة لمفاهيم علم أصول الدين حسب حنفي.
- إعادة ضبط مفاهيم علم الكلام من جديد، هي أولى الخطوات التي تساعدنا على فهم المهمة العملية له، وهي القضاء على الاستعمار وتوحيد الأمة والنهوض باقتصادها ولم شملها، وتجاوز الحدود المصطنعة التي وضعها الاستعمار بين أجزاء الأمة.
- الحقيقة يريد حسن أن يرسم معالم علم الفيوباخني، الذي من خلاله يصل إلى السنة الدين، وتأليه الانسان، وفصله على أن يكون وحيا من الله.

### قائمة المصادر والمراجع:

- السيد ولد أباه: أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهن، ط1، 2010م، بيروت.
- فهد بن محمد القرشي: منهد حسن حنفي دراسة تحليلية نقدية، ط1، الرياض، مجلة البيان، 1984م.
- حسن حنفي: الدين والثورة في مصر الاصولية الاسلامية، مكتبة مديولي، د ت، القاهرة.
- بن عطاء الله فاطمة: التراث والتجديد في فكر حسن حنفي، مذكرة ماستر، 2014م- 2015م،
- حسن حنفي: دراسات اسلامية، ط1، بيروت، دار التنوير، 1982م.
- عبد السلام هارون: التراث العربي، د ط، د ت، المركز العربي في الثقافة والعلوم.
- محمد حمود: النهضة في الفكر العربي المعاصر دراسة مقارنة في فكر حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، مكتبة مديولي، 2010م، القاهرة.
- جيلالي بوبكر: التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر.
- كريمة كريمة: اشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، جامعة سليمان بن عبد العزيز، السعودية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية.
- الشريف طوطاوا: هرمونطيقا النص القرآني في منظور اليسار الاسلامي حنفي أنموذجا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبعاد، 2015م.
- مناد طالب: في علم الكلام من التقليد الى التجديد، دار الأيام، 2015م، عمان الأردن.
- شبلي النعماني الهندي: علم الكلام الجديد، جلال السعيد الحفناوي إدارة الشؤون الفنية، ط1، 2012م، القاهرة، مصر.
- حسن حنفي: من العقيدة الى الثورة، مكتبة مديولي، دط، ج 1.